تأليف: محمد بن ميمون

لفظة النزول
وحديث دعاء آخر الليل

محمد بن ميمون

الصيغة الثانية، شوال ١٤٣٣

الحمد لله المنعم على من اصطفى من عباده بتعريف وحدانيته إليهم ونزاهته، الواهب من ارتضى من أوليائه اليقين بعظمته وعلوه علوا لا تنزل عنه ذات قداسته، فتعالى ذكره، وعز شأنه، وجل ثناؤه، وتقدست أسماؤه، خالق كل شيء وهاديه ورازقه، العلي الأعلى والغني الأغنى والولي الأبقى، لا إله إلا هو الحي القيوم، وصلاته وسلامه على رسوله محمد وآل بيت محمد ورضي عن صحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد فهذا بحث متواضع حول ما ورد في بعض روايات دعاء آخر الليل من لفظ النزول ومدى ثبوته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. سيتبين إن شاء الله تعالى من خلال سرد روايات الحديث وأسانيده أن حديث النزول قريب من التواتر المعنوي، فلا مجال للشك في أن الله أقرب إلى عباده في جوف الليل الآخر منه في سائر أوقات اليوم وأنه أكثر استجابة للدعاء في ذلك الوقت.

وسيتبين إن شاء الله في نفس الوقت أن لفظ النزول لم يرو بتواتر صحيح البتة، بل ليس من أبعد البعيد أن يحكم على روايته بالضعف، وليس المراد

بالضعف في هذا البحث أن اللفظة ليس لها أصل بأي وجه من الوجوه أو أنها زيادة مكذوبة، ولكن المراد احتمال أن النبي ﷺ استعمل في الواقع أحد الألفاظ الواردة في الروايات الأخرى بدلا منها، مثل "الهبوط" أو "التدلي" أو "الدنو" أو "القرب"، واحتمال أنه إذا جاء في إحدى الروايات لفظ النزول فأنه من اختيار أحد الرواة، ظانا أن تنوع المرادفات لا يؤثر ولا يضر. وهذا يقتضي استخدام معايير شديدة إذا أراد أحد أن يثبت استعمال النبي ﷺ لفظ النزول ههنا، لصعوبة إثبات لفظ دون لفظ مقارب المعنى أو مطابق المعنى في علم الحديث، ويقتضي أن تكون المعايير أشد من معايير تصحيح حديث تصحيحا عاما، لسرعة ضياع اللفظ حتى في كثير من الأحاديث الصحاح، كما هو معلوم. فلا بد من أسانيد كالشمس تسند استعمال ذلك اللفظ إلى صحابيين أو أكثر سمعوا النبي ﷺ بآذانهم يستعمل اللفظ في هذا الحديث حتى يبعد تمام البعد أن يكون أحدهم أخطأ في سمعه أو أن يكون رواه عن غيره ممن حكاه بغير اللفظ الأصل.

وإليك الروايات فيما يلي، والله ولي التوفيق.

روايات عن أبي هريرة

١) روى البخاري في صحيحه أن حدثنا عبد الله بن مسلمة عن مالك عن ابن شهاب عن أبي سلمة وأبي عبد الله الأغر عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول: من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له

٢) وروى البخاري في صحيحه أن حدثنا عبد العزيز بن عبد الله حدثنا مالك عن ابن شهاب عن أبي عبد الله الأغر وأبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

يتنزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول: من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له

٣) وروى مسلم في صحيحه أن حدثنا إسحق بن منصور أخبرنا أبو المغيرة حدثنا الأوزاعي حدثنا يحيى حدثنا أبو سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

إذا مضى شطر الليل أو ثلثاه ينزل الله تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا. فيقول: هل من سائل يعطى، هل من داع يستجاب له، هل من مستغفر يغفر له، حتى ينفجر الصبح

٤) وروى مسلم في صحيحه أن حدثنا عثمان وأبو بكر ابن أبي شيبة وإسحق بن إبراهيم الحنظلي واللفظ لابني أبي شيبة قال إسحق أخبرنا وقال الآخران حدثنا جرير عن منصور عن أبي إسحق عن الأغر أبي مسلم يرويه عن أبي سعيد وأبي هريرة قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

إن الله يمهل حتى إذا ذهب ثلث الليل نزل إلى السماء الدنيا فيقول: هل من مستغفر، هل من تائب، هل من سائل، هل من داع، حتى ينفجر الفجر

وحدثناه محمد بن المثنى وابن بشار قالا حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن أبي إسحق بهذا الإسناد غير أن حديث منصور أتم وأكثر

٥) وروى ابن خزيمة في التوحيد أن حدثنا أحمد بن سعيد الرباطي ثنا محاضر بن المورع قال: ثنا الأعمش عن أبي صالح قال: ذكر عن أبي سعيد أو عن أبي هريرة رضي الله عنه

وأبي إسحاق وحبيب عن الأغر عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

إن الله يمهل حتى يذهب شطر الليل الأول ثم ينزل إلى السماء الدنيا فيقول: هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من سائل فأعطيه؟ هل من تائب فأتوب عليه؟ حتى ينشق الفجر

حدثنا أحمد بن سعيد قال: ثنا محاضر عن الأعمش قال: قال أبو سفيان عن جابر أنه قال: ذاك في كل ليلة.

٦) وروى مسلم في صحيحه أن حدثني حجاج بن الشاعر حدثنا محاضر أبو المورع حدثنا سعد بن سعيد قال أخبرني ابن مرجانة قال سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

ينزل الله في السماء الدنيا لشطر الليل أو لثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له، أو يسألني فأعطيه، ثم يقول: من يقرض غير عديم ولا ظلوم!

حدثنا هارون بن سعيد الأيلي حدثنا ابن وهب قال أخبرني سليمان بن بلال عن سعد بن سعيد بهذا الإسناد وزاد:

ثم يبسط يديه تبارك وتعالى يقول من يقرض غير عدوم ولا ظلوم

٧) وروى أحمد بن حنبل في مسنده أن حدثنا يحيى قال أخبرني عبيد الله عن سعيد عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع الوضوء ولأخرت العشاء إلى ثلث الليل أو نصف الليل فإذا مضى ثلث الليل أو نصف الليل نزل إلى السماء الدنيا جل وعز فقال هل من سائل فأعطيه هل من مستغفر فأغفر له هل من تائب فأتوب عليه هل من داع فأجيبه

حدثنا ابن نمير قال أخبرنا عبيد الله عن سعيد المقبري عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

لولا أن أشق فذكر معناه وقال فإن الله عز وجل ينزل في كل ليلة إلى سماء الدنيا وقال فيه حتى يطلع الفجر

٨) وروى ابن منده في التوحيد[١] أن أخبرنا الحسين بن علي ثنا محمد بن إسحاق بن خزيمة ثنا محمد بن رافع النيسابوري ثنا ابن أبي فديك ثنا ابن أبي ذئب عن القاسم بن عبد الله عن نافع بن جبير بن مطعم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

ينزل الله كل ليلة لشطر الليل فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟ فلا يزال كذلك حتى ترجل الشمس

وقال ابن منده: رواه حماد بن سلمة عن عمرو بن دينار عن نافع بن جبير عن أبيه

٩) وروى ابن منده في التوحيد أن أخبرنا إسماعيل بن محمد بن إسماعيل ثنا عباس بن محمد الدوري ثنا عبيد الله بن موسى أخبرنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي مسلم الأغر قال: أشهد على أبي هريرة وأبي سعيد أنهما شهدا على النبي صلى الله عليه وسلم، وأنا أشهد عليهما، أنهما سمعا النبي صلى الله عليه وسلم يقول:

"إن الله يمهل حتى إذا ذهب ثلث الليل يهبط إلى السماء الدنيا، فيقول: هل من مذنب يتوب، هل من مستغفر، هل من داع؟ حتى يطلع الفجر."

رواه عبد الرحمن بن مهدي وغيره عن إسرائيل، ورواه سفيان الثوري وأبو عوانة ورواه حبيب بن أبي ثابت عن أبي مسلم الأغر ورواه الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة وأبي سعيد، وأبي سعيد، عن جابر.

[١] ورواه النسائي في السنن الكبرى عن ابن أبي فديك باللفظ نفسه.

رواية عن جبير بن مطعم

١٠) وروى أحمد بن حنبل في مسنده أن حدثنا أسود بن عامر قال حدثنا حماد بن سلمة عن عمرو بن دينار عن نافع بن جبير عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:
ينزل الله عز وجل في كل ليلة إلى السماء الدنيا، فيقول هل من سائل فأعطيه، هل من مستغفر فأغفر له، حتى يطلع الفجر.

رواية عن رفاعة بن عرابة الجهني

١١) وروى الدارمي في رده على المريسي أن حدثنا أبو عمر الحوضي عن هشام الدستوائي عن يحيى بن أبي كثير عن هلال بن أبي ميمونة عن عطاء بن يسار عن رفاعة الجهني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:
إذا مضى ثلث الليل أو شطر الليل ينزل الله إلى سماء الدنيا فيقول: لا أسأل عن عبادي غيري فمن يستغفرني أغفر له؟ من يدعني أستجب له؟ من يسألني أعطه؟ حتى ينفجر الفجر.

١٢) وروى ابن منده في التوحيد أن أخبرنا خيثمة بن سليمان ومحمد بن يعقوب قالا: نا العباس بن الوليد بن مزيد أخبرني أبي نا الأوزاعي حدثني يحيى بن أبي كثير حدثني هلال بن أبي ميمونة حدثني عطاء بن يسار حدثني رفاعة بن عرابة الجهني رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

إذا مضى شطر من الليل أو ثلثاه ينزل الله إلى السماء الدنيا فيقول: لا أسأل عن عبادي غيري من ذا الذي يسألني أعطيه؟ من ذا الذي يدعوني أستجيب له؟ من ذا الذي يستغفرني أغفر له؟ حتى يطلع الصب.

رواية عن علي بن أبي طالب

١٣) وروى أحمد بن حنبل في مسنده أن حدثنا يعقوب حدثنا أبي عن محمد بن إسحاق حدثني سعيد بن أبي سعيد المقبري عن عطاء مولى أم صبية عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقول لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة ولأخرت عشاء الآخرة إلى ثلث الليل الأول فإنه إذا مضى ثلث الليل الأول هبط الله تعالى إلى السماء الدنيا فلم يزل هناك حتى يطلع الفجر فيقول قائل ألا سائل يعطى ألا داع يجاب ألا سقيم يستشفي فيشفى ألا مذنب يستغفر فيغفر له.

حدثنا يعقوب حدثنا أبي عن ابن إسحاق حدثني عمي عبد الرحمن بن يسار عن عبيد الله بن أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أبيه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم مثل حديث أبي هريرة.

قلت: هذا الإسناد فيه محمد بن إسحاق وقد اختلف فيه، قال الإمام مالك: دجال من الدجاجلة، نحن أخرجناه من المدينة. وعمه عبد الرحمن بن يسار لا يكاد يعرف.

روايات عن عبد الله بن مسعود

١٤) وروى أحمد بن حنبل في مسنده أن حدثنا عبد الصمد حدثنا عبد العزيز بن مسلم حدثنا أبو إسحاق الهمداني عن أبي الأحوص عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

إذا كان ثلث الليل الباقي يهبط الله عز وجل إلى السماء الدنيا ثم تفتح أبواب السماء ثم يبسط يده فيقول: هل من سائل يعطى سؤله؟ فلا يزال كذلك حتى يطلع الفجر.

وروى أحمد في مسنده بنفس الإسناد:

إذا كان ثلث الليل الباقي يهبط إلى السماء الدنيا ثم يفتح أبواب السماء ثم يبسط يده فيقول: هل من سائل يعطى سؤله؟ ولا يزال كذلك حتى يسطع الفجر .

قلت: فيه أبو إسحاق وصفه بعض علماء الحديث بالتدليس ولم يصرح بالسماع، ثم إنه اختلط في آخر عمره.

١٥) وروى أحمد بن حنبل في مسنده أن حدثنا عبد الله قال: قرأت على أبي: حدثنا معاوية بن عمرو قال: حدثنا زائدة حدثنا إبراهيم الهجري عن أبي الأحوص عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

إن الله عز وجل يفتح أبواب السماء ثلث الليل الباقي ثم يهبط إلى السماء الدنيا ثم يبسط يده ثم يقول: ألا عبد يسألني فأعطيه؟ حتى يسطع الفجر .

رواية عن عقبة بن عامر

١٦) وروى اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد أن أخبرنا عبيد الله بن أحمد قال: أخبرنا عبد الله بن محمد بن زياد قال: ثنا محمد بن عبد الملك قال: ثنا أبو الحسن هارون بن إسماعيل الخزاز أملاه علينا من كتابه قال: ثنا علي بن المبارك قال: ثنا يحيى بن أبي كثير قال: حدثني هلال أن عطاء حدثه أن عقبة بن عامر حدثه قال: أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال:

إذا مضى ثلث الليل أو قال: نصف الليل , ينزل الله إلى سماء الدنيا فيقول: لا أسأل عن عبادي غيري من ذا الذي يستغفرني أغفر له؟ من ذا الذي يدعوني أستجب له؟ من ذا الذي يسألني أعطه؟ حتى ينفجر الفجر .

قال النيسابوري: قال: ثنا محمد بن عبد الملك: هكذا أملاه علينا هارون من كتابه , فقال عن عقبة بن عامر. قال الشيخ أبو القاسم الحافظ: ورواه الأوزاعي وهشام وعلي بن المبارك عن يحيى عن هلال عن عطاء عن رفاعة وهو أشبه بالصواب .

رواية عن عبادة بن الصامت

١٧) وروى الطبراني في المعجم الأوسط أن حدثنا محمد بن عثمان بن أبي سويد قال: نا عبد الرحمن بن المبارك العيشي، قال: نا فضيل بن سليمان، عن موسى بن عقبة، عن إسحاق بن يحيى عن عبادة بن الصامت، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يمضي ثلث الليل الأخير، فيقول: ألا عبد من عبادي يدعوني فأستجيب له، ألا ظالم لنفسه يدعوني فأغفر له، ألا مقتر عليه رزقه، ألا مظلوم يذكرني فأنصره، ألا

عان يدعوني فأعينه، قال: فيكون كذلك إلى أن يضيء الصبح، فيعلو ربنا عز وجل على كرسيه.

لا يروى هذا الحديث عن عبادة بن الصامت إلا بهذا الإسناد، تفرد به عبد الرحمن بن المبارك.

رواية عن جابر بن عبد الله

١٨) وروى ابن خزيمة في التوحيد كما تقدم في رقم ٨ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

إن الله يمهل حتى يذهب شطر الليل الأول ثم ينزل إلى السماء الدنيا فيقول: هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من سائل فأعطيه؟ هل من تائب فأتوب عليه؟ حتى ينشق الفجر

حدثنا أحمد بن سعيد قال: ثنا محاضر عن الأعمش قال: قال أبو سفيان عن جابر أنه قال: ذاك في كل ليلة .

روايات عن عثمان بن أبي العاص

١٩) وروى الطبراني أن حدثنا إبراهيم قال: نا عبد الرحمن بن سلام نا داود بن عبد الرحمن العطار عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن عثمان بن أبي العاص الثقفي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

تفتح أبواب السماء نصف الليل فينادي مناد: هل من داع فيستجاب له هل من سائل فيعطى هل من مكروب فيفرج عنه فلا يبقى مسلم يدعو بدعوة إلا استجاب الله عز وجل له إلا زانية تسعى بفرجها أو عشارا.

قال الهيثمي:رجاله رجال الصحيح، وصحح الألباني إسناده في السلسلة الصحيحة.

٢٠) وروى الطبراني في المعجم الكبير وغيره من طريق حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن الحسن عن عثمان بن أبي العاص أن النبي ﷺ قال:

ينزل الله تبارك وتعالى إلى سماء الدنيا كل ليلة فيقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له؟

٢١) وروى أحمد في مسنده أن حدثنا يزيد بن هارون حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن الحسن عن عثمان بن أبي العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

ينادي مناد كل ليلة هل من داع فيستجاب له هل من سائل فيعطى هل من مستغفر فيغفر له حتى ينفجر الفجر.

٢٢) وروى الطبراني أن حدثنا أبو زرعة عبد الرحمن بن عمرو الدمشقي ثنا أبو الجماهر ثنا خليد بن دعلج عن سعيد بن عبد الرحمن عن كُلاّب بن أمية أنه لقي عثمان بن أبي العاص فقال: ما جاء بك؟ فقال: استعملت على عشر الأبلة فقال عثمان: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

إن الله يدنو من خلقه فيغفر لمن استغفر إلا لبغي بفرجها أو لعشار.

رواية عن أبي الدرداء

٢٣) وروى ابن خزيمة وابن منده وغيرهما عن الليث بن سعد عن زيادة بن محمد الأنصاري عن محمد بن كعب القرظي عن فضالة بن عبيد عن أبي الدرداء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

إن الله عز وجل ينزل في ثلاث ساعات بقين من الليل يفتح الذكر في الساعة الأولى لم يره أحد غيره فيمحو ما شاء ويثبت ما شاء ثم ينزل في الساعة الثانية إلى جنة عدن التي لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر ولا يسكنها من بني آدم غير ثلاثة: النبيين والصديقين والشهداء ثم يقول: طوبى لمن دخلك . ثم ينزل في الساعة الثالثة إلى سماء الدنيا بروحه وملائكته فتنتفض فيقول: قومي بعزتي ثم يطلع إلى عباده فيقول: هل من مستغفر أغفر له؟ هل من داع أجيبه حتى تكون صلاة الفجر . ولذلك يقول: وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا فيشهده الله وملائكة الليل والنهار

روايات عن عمرو بن عبسة

٢٤) وروى أحمد في مسنده أن حدثنا يزيد بن هارون حدثنا حريز بن عثمان وهو الرحبي حدثنا سليم بن عامر عن عمرو بن عبسة قال:

أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بعكاظ فقلت من تبعك على هذا الأمر فقال حر وعبد ومعه أبو بكر وبلال رضي الله تعالى عنهما فقال لي ارجع حتى يمكن الله عز وجل لرسوله فأتيته بعد فقلت يا رسول الله جعلني

الله فداءك شيئا تعلمه وأجهله لا يضرك وينفعني الله عز وجل به هل من ساعة أفضل من ساعة وهل من ساعة يتقى فيها فقال لقد سألتني عن شيء ما سألني عنه أحد قبلك إن الله عز وجل يتدلى في جوف الليل فيغفر إلا ما كان من الشرك والبغي فالصلاة مشهودة محضورة فصل حتى تطلع الشمس فإذا طلعت فأقصر عن الصلاة فإنها تطلع بين قرني شيطان وهي صلاة الكفار حتى ترتفع فإذا استقلت الشمس فصل فإن الصلاة محضورة مشهودة حتى يعتدل النهار فإذا اعتدل النهار فأقصر عن الصلاة فإنها ساعة تسجر فيها جهنم حتى يفيء الفيء فإذا فاء الفيء فصل فإن الصلاة محضورة مشهودة حتى تدلى الشمس للغروب فإذا تدلت فأقصر عن الصلاة حتى تغيب الشمس فإنها تغيب على قرني شيطان وهي صلاة الكفار

٢٥) وروى الدارقطني في النزول أن حدثنا علي بن عبد الله بن مبشر نا أحمد بن سنان نا يزيد بن هارون أنا جرير بن عثمان نا سليمان بن عامر عن عمرو بن عبسة قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو بعكاظ، فقلت: من تبعك في هذا الأمر ؟ قال: "حر وعبد، وليس أحد إلا أبو بكر، وبلال، ثم قال: انطلق حتى يمكن الله لرسوله"، ثم أنه جاءه بعد، فقال: يا نبي الله، جعلني الله فداك، شيئا تعلمه وأجهله ينفعني ولا يضرك، هل من ساعة أقرب إلى الله عز وجل من ساعة يتقى فيها يعني الصلاة، قال: "يا عمرو بن عبسة، لقد سألتني عن شيء ما سألني عنه أحد قبلك، إن الله يتدلى من جوف الليل الآخر فيغفر إلا ما كان من الشرك والبغي، والصلاة مكتوبة مشهودة حتى تطلع الشمس، فإنها تطلع بين قرني شيطان، وهي صلاة الكفار، فأقصر عن الصلاة حتى ترتفع

الشمس، فإذا استقلت الشمس فالصلاة مشهودة حتى تدلى للغروب، فإنها تغيب في قرني شيطان، فأقصر عن الصلاة حتى تحتجب الشمس."

تنبيه: وقع خطأ صغير في الإسناد من قبل أحد الرواة، فهو سليم لا سليمان.

٢٦) وروى ابن منده في التوحيد أن أخبرنا محمد بن يعقوب بن يوسف ثنا محمد بن إسحاق الصغاني ثنا يحيى بن أبي بكير وعلي بن عياش ح وأخبرنا علي بن محمد بن نصر ثنا محمد بن غالب ثنا عبد الصمد بن النعمان البزاز قالوا: ثنا حريز بن عثمان عن سليم بن عامر الكلاعي عن عمرو بن عبسة السلمي

أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم في عكاظ ليس معه إلا أبو بكر وبلال فقال: "انطلق حتى يمكن الله لرسوله" ثم إنه أتاه بعد فقال: يا نبي الله جعلني الله فداك أسألك عن شيء تعلمه وأجهله ينفعني ولا يضرك: ما ساعة أقرب من ساعة وما ساعة يقرب فيها فقال: "يا عمرو بن عبسة لقد سألتني عن شيء ما سألني عنه أحد قبلك إن الرب يتدلى في جوف الليل فيغفر إلا ما كان من الشرك والبغي والصلاة مشهودة حتى تطلع الشمس."

٢٧) وروى الدارقطني في النزول أن حدثنا أبو بكر النيسابوري نا أحمد بن منصور نا يزيد بن هارون ويحيى بن أبي بكير وعبد الصمد بن النعمان واللفظ ليزيد أنا جرير بن عثمان نا سليمان بن عامر عن عمرو بن عبسة قال:

أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: يا رسول الله، جعلني الله فداك، شيئا تعلمه وأجهله ينفعني ولا يضرك: ما ساعة أقرب من ساعة يتقى فيها، قال: "يا عمرو بن عبسة، لقد سألت عن شيء ما سألني عنه أحد قبلك: إن

الرب ينزل من جوف الليل فيغفر إلا ما كان من الشرك، والصلاة مشهودة حتى تطلع الشمس."

٢٨) وروى ابن عبد البر في التمهيد أن أخبرنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن قال حدثنا محمد بن بكر بن محمد بن عبد الرزاق البصري قال حدثنا أبو داود السجستاني قال حدثنا إبراهيم بن خالد الكلبي قال حدثنا يزيد بن هارون قال أخبرنا جرير بن عثمان قال حدثنا سليم بن عامر عن أبي أمامة عن عمرو بن عبسة قال:

أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بعكاظ قلت من معك على هذا الأمر قال حر وعبد ومعه أبو بكر وبلال ثم قال فارجع حتى يمكن الله لرسوله فقال فأتيته بعد فقلت يا رسول الله جعلني الله فداك شيئا تعلمه وأجهله لا يضرك وينفعني الله به هل من ساعة أفضل من ساعة وهل من ساعة لا يصلى فيها قال لقد سألتني عن شيء ما سألني عنه أحد إن الله تبارك وتعالى ينزل في جوف الليل فيغفر الا ما كان من الشرك والبغي والصلاة مشهودة فصل حتى تطلع الشمس فإذا طلعت فاقصر فإنها تطلع على قرن شيطان وهي صلاة الكفار حتى ترتفع فإذا استقلت الشمس فصل فإن الصلاة مشهودة محضورة حتى يعتدل النهار فإذا اعتدل النهار فأقصر (عن الصلاة) فإنها ساعة تسجر فيها جهنم حتى يفي الفيء فإذا أفاء الفيء فصل فإن الصلاة محضورة مشهودة حتى تدنو الشمس للغروب فإذا تدلت فاقصر عن الصلاة فإنها تغيب على قرن شيطان وهي صلاة الكفار.

تنبيه: وقع خطأ في الإسناد من قبل أحد الرواة، فهو سليم لا سليمان.

٢٩) وروى أحمد في مسنده أن حدثنا ابن نمير حدثنا حجاج يعني ابن دينار عن محمد بن ذكوان عن شهر بن حوشب عن عمرو بن عبسة قال

أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله من تبعك على هذا الأمر قال حر وعبد قلت ما الإسلام قال طيب الكلام وإطعام الطعام قلت ما الإيمان قال الصبر والسماحة قال قلت أي الإسلام أفضل قال من سلم المسلمون من لسانه ويده قال قلت أي الإيمان أفضل قال خلق حسن قال قلت أي الصلاة أفضل قال طول القنوت قال قلت أي الهجرة أفضل قال أن تهجر ما كره ربك عز وجل قال قلت فأي الجهاد أفضل قال من عقر جواده وأهريق دمه قال قلت أي الساعات أفضل قال جوف الليل الآخر ثم الصلاة مكتوبة مشهودة حتى يطلع الفجر فإذا طلع الفجر فلا صلاة إلا الركعتين حتى تصلي الفجر فإذا صليت صلاة الصبح فأمسك عن الصلاة حتى تطلع الشمس فإذا طلعت الشمس فإنها تطلع في قرني شيطان وإن الكفار يصلون لها فأمسك عن الصلاة حتى ترتفع فإذا ارتفعت فالصلاة مكتوبة مشهودة حتى يقوم الظل قيام الرمح فإذا كان كذلك فأمسك عن الصلاة حتى تميل فإذا مالت فالصلاة مكتوبة مشهودة حتى تغرب الشمس فإذا كان عند غروبها فأمسك عن الصلاة فإنها تغرب أو تغيب في قرني شيطان وإن الكفار يصلون لها.

٣٠) وروى الطبراني أن حدثنا عمرو بن إسحاق ثنا أبي ثنا عمرو بن الحارث ثنا عبد الله بن سالم عن الزبيدي ثنا لقمان بن عامر عن سويد بن جبلة عن عمرو بن عبسة السلمي أنه حدثهم قال:

أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: من تبعك في هذا الأمر؟ فقال: " حر وعبد " قال: فأسلمت وتابعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقد رأيتني وأنا لربع الإسلام قال: فقلت: ماذا تأمرني به يا رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: "تلحق قومك فإذا رأيت الناس اتبعوني فالحق بي." قال: ثم قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك بعام وهو بعكاظ فقلت: يا رسول الله بأبي أنت وأمي أنت علمني مما تعلم وأجهل وينفعني ولا يضرك قال: " لقد سألتني عن شيء ما سألني عنه أحد من أصحابي سل عما شئت " قال: قلت: هل لله ساعة يبتغي ذكرها؟ وهل لله ساعة يبقي ذكرها؟ قال: " نعم جوف الليل الآخر يدنو إلى السماء الدنيا فالصلاة محضورة مشهودة حتى تطلع الشمس فإنها تطلع بين قرني الشيطان ويصلي لها الكفار فأقصر عن الصلاة ما دامت كأنها جحفة حتى تعالى بالأفق فإذا استقلت فصل فالصلاة محضورة مشهودة حتى يقوم الظل قيام الرمح فإذا قام الظل قيام الرمح فأقصر عن الصلاة فإنها حينئذ تسجر جهنم وتفتح أبوابها فإذا فاء الظل فصل فإن الصلاة محضورة مشهودة حتى تصلي العصر فإذا صليت العصر فأقصر عن الصلاة حتى تغرب الشمس فإنها تغرب بين قرني الشيطان ويصلي لها الكفار " ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ما من امرئ مسلم يتوضأ فيغسل كفيه إلا خرج ما كان فيهما من شيء من عمله فإذا غسل وجهه خرج ما كان في وجهه من شيء من عمله فإذا مضمض واستنثر خرج ما كان فيهما من شيء عمله فإذا غسل يديه خرج ما كان فيهما من شيء عمله من بين أظافره وأنامله فإذا مسح برأسه خرج ما في رأسه من شيء عمله من أطراف شعره فإذا غسل

رجليه خرج ما كان في رجليه من بين أظفاره وأنامله فهذا له من وضوئه فإن قام إلى الصلاة حافلا لها خرج من خطاياه كيوم ولدته أمه " قال: قلنا: يا عمرو بن عبسة وإنك لتحدث حديثا ما سمعناه من أحد غيرك قال: بئس مالي إن كنت قد كبرت شيخا ورق عظمي وصغر أجلي وأفتري على رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ وما بي خلة أي حاجة أن أفتري على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو أني لم أسمعه منه إلا مرة أو مرتين ما حدثتكموه ولكن قد سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم عودا وبدءا".

٣١) وروى الطبراني أن حدثنا عمرو بن إسحاق بن إبراهيم بن العلاء بن زبريق الحمصي ثنا أبي ثنا عمرو بن الحارث ثنا عبد الله بن سالم عن الزبيدي قال: حدثنا لقمان بن عامر الوصابي عن سويد بن جبلة السلمي عن عمرو بن عبسة السلمي رضي الله عنه أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: هل لله تعالى من ساعة يبتغى ذكرها؟ قال:

نعم جوف الليل الآخر يدنو ربنا عز وجل إلى السماء الدنيا والصلاة محضورة مشهودة حتى تطلع الشمس.

٣٢) وروى الترمذي أن حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن أخبرنا إسحق بن عيسى قال حدثني معن حدثني معاوية بن صالح عن ضمرة بن حبيب قال سمعت أبا أمامة يقول حدثني عمرو بن عبسة أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول:

أقرب ما يكون الرب من العبد في جوف الليل الآخر فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكن

قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه

٣٣) وروى الترمذي أن حدثنا محمد بن يحيى الثقفي المروزي حدثنا حفص بن غياث عن ابن جريج عن عبد الرحمن بن سابط عن أبي أمامة قال قيل يا رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الدعاء أسمع قال:

جوف الليل الآخر ودبر الصلوات المكتوبات

قال أبو عيسى هذا حديث حسن وقد روي عن أبي ذر وابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال

جوف الليل الآخر الدعاء فيه أفضل أو أرجى أو نحو هذا

٣٤) وروى النسائي أن أخبرنا عمرو بن منصور قال أنبأنا آدم بن أبي إياس قال حدثنا الليث بن سعد قال حدثنا معاوية بن صالح قال أخبرني أبو يحيى سليم بن عامر وضمرة بن حبيب وأبو طلحة نعيم بن زياد قالوا سمعنا أبا أمامة الباهلي يقول سمعت عمرو بن عبسة يقول

قلت يا رسول الله هل من ساعة أقرب من الأخرى أو هل من ساعة يبتغى ذكرها قال نعم إن أقرب ما يكون الرب عز وجل من العبد جوف الليل الآخر فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله عز وجل في تلك الساعة فكن فإن الصلاة محضورة مشهودة إلى طلوع الشمس فإنها تطلع بين قرني الشيطان وهي ساعة صلاة الكفار فدع الصلاة حتى ترتفع قيد رمح ويذهب شعاعها ثم الصلاة محضورة مشهودة حتى تعتدل الشمس اعتدال الرمح بنصف النهار فإنها ساعة تفتح فيها أبواب جهنم وتسجر فدع الصلاة حتى يفيء الفيء ثم الصلاة محضورة مشهودة حتى تغيب الشمس فإنها تغيب بين قرني شيطان وهي صلاة الكفار

٣٥) وروى أبو داود في سننه أن حدثنا الربيع بن نافع حدثنا محمد بن المهاجر عن العباس بن سالم عن أبي سلام عن أبي أمامة عن عمرو بن عبسة السلمي أنه قال

قلت يا رسول الله أي الليل أسمع قال جوف الليل الآخر فصل ما شئت فإن الصلاة مشهودة مكتوبة حتى تصلي الصبح ثم أقصر حتى تطلع الشمس فترتفع قيس رمح أو رمحين فإنها تطلع بين قرني شيطان ويصلي لها الكفار ثم صل ما شئت فإن الصلاة مشهودة مكتوبة حتى يعدل الرمح ظله ثم أقصر فإن جهنم تسجر وتفتح أبوابها فإذا زاغت الشمس فصل ما شئت فإن الصلاة مشهودة حتى تصلي العصر ثم أقصر حتى تغرب الشمس فإنها تغرب بين قرني شيطان ويصلي لها الكفار وقص حديثا طويلا قال العباس هكذا حدثني أبو سلام عن أبي أمامة إلا أن أخطئ شيئا لا أريده فأستغفر الله وأتوب إليه

٣٦) روى مسلم في صحيحه أن حدثني أحمد بن جعفر المعقري حدثنا النضر بن محمد حدثنا عكرمة بن عمار حدثنا شداد بن عبد الله أبو عمار ويحيى بن أبي كثير عن أبي أمامة قال عكرمة ولقي شداد أبا أمامة وواثلة وصحب أنسا إلى الشام وأثنى عليه فضلا وخيرا عن أبي أمامة قال قال عمرو بن عبسة السلمي:

كنت وأنا في الجاهلية أظن أن الناس على ضلالة وأنهم ليسوا على شيء وهم يعبدون الأوثان فسمعت برجل بمكة يخبر أخبارا فقعدت على راحلتي فقدمت عليه فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم مستخفيا جرءاء عليه قومه فتلطفت حتى دخلت عليه بمكة فقلت له ما أنت قال أنا نبي فقلت وما نبي قال أرسلني الله فقلت وبأي شيء أرسلك قال أرسلني بصلة الأرحام وكسر

الأوثان وأن يوحد الله لا يشرك به شيء قلت له فمن معك على هذا قال حر وعبد قال ومعه يومئذ أبو بكر وبلال ممن آمن به فقلت إني متبعك قال إنك لا تستطيع ذلك يومك هذا ألا ترى حالي وحال الناس ولكن ارجع إلى أهلك فإذا سمعت بي قد ظهرت فأتني قال فذهبت إلى أهلي وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وكنت في أهلي فجعلت أتخبر الأخبار وأسأل الناس حين قدم المدينة حتى قدم علي نفر من أهل يثرب من أهل المدينة فقلت ما فعل هذا الرجل الذي قدم المدينة فقالوا الناس إليه سراع وقد أراد قومه قتله فلم يستطيعوا ذلك فقدمت المدينة فدخلت عليه فقلت يا رسول الله أتعرفني قال نعم أنت الذي لقيتني بمكة قال فقلت بلى فقلت يا نبي الله أخبرني عما علمك الله وأجهله أخبرني عن الصلاة قال صل صلاة الصبح ثم أقصر عن الصلاة حتى تطلع الشمس حتى ترتفع فإنها تطلع حين تطلع بين قرني شيطان وحينئذ يسجد لها الكفار ثم صل فإن الصلاة مشهودة محضورة حتى يستقل الظل بالرمح ثم أقصر عن الصلاة فإن حينئذ تسجر جهنم فإذا أقبل الفيء فصل فإن الصلاة مشهودة محضورة حتى تصلي العصر ثم أقصر عن الصلاة حتى تغرب الشمس فإنها تغرب بين قرني شيطان وحينئذ يسجد لها الكفار قال فقلت يا نبي الله فالوضوء حدثني عنه قال ما منكم رجل يقرب وضوءه فيتمضمض ويستنشق فينتثر إلا خرت خطايا وجهه وفيه وخياشيمه ثم إذا غسل وجهه كما أمره الله إلا خرت خطايا وجهه من أطراف لحيته مع الماء ثم يغسل يديه إلى المرفقين إلا خرت خطايا يديه من أنامله مع الماء ثم يمسح رأسه إلا خرت خطايا رأسه من أطراف شعره مع الماء ثم يغسل قدميه إلى الكعبين إلا خرت خطايا رجليه من أنامله مع الماء

فإن هو قام فصلى فحمد الله وأثنى عليه ومجده بالذي هو له أهل وفرغ قلبه لله إلا انصرف من خطيئته كهيئته يوم ولدته أمه فحدث عمرو بن عبسة بهذا الحديث أبا أمامة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له أبو أمامة يا عمرو بن عبسة انظر ما تقول، في مقام واحد يعطى هذا الرجل؟ فقال عمرو يا أبا أمامة لقد كبرت سني ورق عظمي واقترب أجلي وما بي حاجة أن أكذب على الله ولا على رسول الله لو لم أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا مرة أو مرتين أو ثلاثا حتى عد سبع مرات ما حدثت به أبدا ولكني سمعته أكثر من ذلك.

تحليل

يتبين من خلال سرد هذه الروايات والأسانيد أن حديث النزول قريب من التواتر المعنوي، فلا مجال للشك في أن الله أقرب إلى عباده في جوف الليل الآخر منه في سائر أوقات اليوم.

ويتبين في نفس الوقت أن لفظ النزول لم يرو بتواتر صحيح البتة، بل ليس من أبعد البعيد أن يحكم على روايته بالضعف، حيث يمكن أن يكون النبي ﷺ استعمل في الواقع أحد الألفاظ الواردة في الروايات الأخرى، مثل "الهبوط" أو "التدلي" أو "الدنو" أو "القرب". أما عدم تواتر لفظ "النزول" فالصحابة العشرة الذين تنسب إليهم الأحاديث وكأنهم كلهم نطقوا بلفظ النزول، وهم أبو هريرة وأبو سعيد الخدري وجابر بن مطعم ورفاعة بن عرابة الجهني وعقبة بن عامر وعبادة بن الصامت وجابر بن عبد الله وعثمان ابن أبي العاص وأبو الدرداء وعمرو بن عبسة رضي الله عنهم أجمعين، لا يبقى منهم بعد الغربلة الأولى إلا أربعة.

فمن قارن بين الرواية رقم ١٢ والرواية رقم ١٦ إسنادًا ومَتْنًا لاحظ على الفور أن إحداهما وقع في إسنادها خطأ، ولذلك ينقل اللالكائي عن الطبراني قوله: ورواه الأوزاعي وهشام وعلي بن المبارك عن يحيى عن هلال عن عطاء عن رفاعة وهو أشبه بالصواب ا.هـ. فلا تثبت رواية هذا الحديث

عن عقبة بن عامر. وأما التي تنسب لعبادة بن الصامت (رقم ١٧) ففي إسنادها انقطاع إذ ذكر البخاري أن يحيى بن إسحاق لم يلق عبادة، وقال الهيثمي: يحيى بن إسحاق لم يسمع من عبادة ولم يرو عنه غير موسى بن عقبة وبقية رجاله رجال الصحيح ا.هـ. وقد ضعف الحافظ ابن حجر كل الأحاديث التي فيها التصريح بالرجوع إلى الكرسي أو العرش أو الصعود، فالحديث بهذا ضعيف. وأما جابر بن عبد الله (رقم ١٨) فجاء عنه التصديق بمعنى الحديث في قوله "ذاك في كل ليلة"، ولا توجد رواية صحيحة تسند استعمال لفظ النزول إليه في هذا السياق. ويؤيد هذا ما رواه مسلم في صحيحه عن جابر بن عبد الله قال: "سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول إن في الليل لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله خيرا من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه وذلك كل ليلة." ولم يذكر النزول ولا بوجه من الوجوه، مع أنه نفس أصل الإسناد، عن الأعمش. وهذا فضلا عن أن في إسناد ابن خزيمة – لا في إسناد الإمام مسلم – محاضر بن المورع وقد ضعفه كثير من الأئمة، ضعفه أبو حاتم الرازي وأبو دواد وأحمد بن حنبل وابن حجر العسقلاني والذهبي. وأما ما ينسب إلى أبي الدرداء في رقم ٢٣ فحديث في غاية الضعف يكاد متنه يغني عن فحص إسناده فعلامات الضعف بل الوضع ظاهرة عليه. ثم في إسناده زيد بن محمد الأنصاري وهو منكر الحديث عند أئمة الحديث كالبخاري وابن حجر وغيرهما. وأما ما ينسب إلى عثمان ابن أبي العاص من استعمال لفظ النزول في هذا الحديث فضعيف الإسناد لضعف علي بن زيد وعنعنة الحسن وهو البصري معروف بالتدليس إلا أن يصرح بالسماع.

والصحابة الخمسة الباقون الذين تنسب إليهم الأحاديث وكأنهم كلهم نطقوا بلفظ النزول، وهم أبو هريرة وأبو سعيد الخدري وجابر بن مطعم ورفاعة بن عرابة الجهني وعمرو بن عبسة لا يبقى منهم بعد الغربلة الثانية إلا أربعة. ذلك أن أبا سعيد لا يثبت أنه روى حديث النزول مستقلا عن أبي هريرة، فالأشبه أنه لم يقف إلا موقف المصدق بالمعنى من غير أن ينطق بلفظ معين. ثم إنه لم يُرو الحديث عن الاثنين بسند متصل إلا عن أبي إسحاق عن الأغر أبي مسلم، فأما الأغر فقد وثق إلا أنه لا يكاد يعرف حتى إن بعض العلماء خلطوا بينه وبين راو آخر وهو أبو عبد الله سلمان الأغر كما في "تهذيب التهذيب" للحافظ ابن حجر، فلا يعلم مدى إتقانه والتزامه بالألفاظ الأصلية، لم تثبت له رواية عن غير أبي هريرة وأبي سعيد، وقد امتنع الإمام البخاري عن الرواية عنه في صحيحه وروى له في "الأدب المفرد" حيث لم يلتزم بأن يكون كل حديث فيه صحيحا. وأما أبو إسحاق فوثقه العلماء لكنه ممن يعرف بالتدليس. فحتى وإن يحسبه العلماء غير مدلس ههنا إذ ما جاء عنه من طريق شعبة كما في رقم ٤ دالّ على السماع رغم العنعنة، فقد التزم شعبة ألا يحدث عن أبي إسحاق إلا بعد التثبت من السماع، هذا قرره الحافظ ابن حجر في كتابه "تعريف أهل التقديس"، إلا أنه من الطبيعي أن من يتعمد في كثير من رواياته إسقاط راو من الإسناد فأنه غير مأمون أن يبدل مكان لفظ لفظا مقارب المعنى، أو يتساهل في اللفظ، أو ألا يشير إلى أن أحد الصحابيين قال بالحديث ولكن ساكتًا أو مصدقًا بمعناه تصديقَ إشارة بالرأس أو نحو ذلك. ويؤكد هذا ما رواه النسائي في السنن الكبرى، فهناك ساق الإسناد عن أبي إسحاق إلى الصحابيين غير معنعن بل

بتصريح التحديث والسماع، بغير ورود لفظ النزول ولا ما يقاربه في المعنى: "حدثنا الأعمش حدثنا أبو إسحاق حدثنا أبو مسلم الأغر سمعت أبا هريرة و أبا سعيد يقولان: إن الله عز وجل يمهل حتى يمضي شطر الليل الأول، ثم يأمر مناديا ينادي، يقول: هل من داع يستجاب له؟ هل من مستغفر يغفر له؟ هل من سائل يعطى؟" ثم إن لفظ ما في رقم ٤ يختلف عنه لفظ ما رواه ابن منده في رقم ٩ عن أبي سعيد وأبي هريرة، فلفظه لفظ "الهبوط"، وهو أيضا عن أبي إسحاق معنعنا.

وإن قيل قد رواه عن الاثنين غير أبي إسحاق، كما في الرواية رقم ٥ حيث في الإسناد الأعمش عن أبي صالح، فالجواب عن ذلك: الإسناد وقع فيه شك من قِبل أحد الرواة فقال "عن أبي سعيد **أو** عن أبي هريرة" وإن وقع في بعض النسخ "وعن أبي هريرة". ثم إن الظاهر أن الإسناد منقطع، فقد جاء فيه "ذُكِرَ عن أبي سعيد" مبنيا للمجهول، ولا وجه لجعله مبنيا للمعلوم إلا بتكلف بعيد أو تعسف عنيد. والحبيب بن أبي ثابت ممن يعرف بالتدليس أيضا وقد عنعن. ثم إن في الإسناد محاضر بن المورع، وقد سبق الكلام فيه. قال ابن منده: وقال غير محاضر عن الأعْمش عَن أَبي صالح عن أَبي هريرة لم يذكر أبا سعيد ا.هـ. إن أبا سعيد رضي الله عنه من المكثرين من الحديث عن رسول الله ﷺ، فإنه لافت للنظر قويٌّ أن يروي مثله المئات من الأحاديث لا يُذكر معه صحابي غيره ثم لا يأتي هذا الحديث عنه إلا ومعه أبو هريرة رضي الله عنه، دون أن يرويه بنفسه على حدة مرة واحدة. فهذه

إشارة واضحة أن أبا سعيد أقل استحضارا للّفظ وأشد ورعا من أن يجترئ في هذا الحديث على النطق بلفظ من الألفاظ، فاكتفى بتأكيد المعنى.

والصحابة الأربعة الباقون الذين تنسب إليهم الأحاديث وكأنهم كلهم نطقوا بلفظ النزول، وهم أبو هريرة وجابر بن مطعم ورفاعة بن عرابة الجهني وعمرو بن عبسة لا يبقى منهم بعد الغربلة الثالثة إلا ثلاثة. فمن نظر في إسناد الرواية المنسوبة إلى جابر بن مطعم رضي الله عنه وجد فيه أمرا غريبًا، وهو قول الراوي: "عن نافع بن جابر بن مطعم عن أبيه"، وقد روى نافع في رقم ٨ الحديث مشابهَ اللفظ عن أبي هريرة! ولا شك أن الإسناد وقع فيه خطأ، ففي سعة الثلاثين حديثا التي اجتمعت في هذه الصفحات لا يوجد متن بهذا القصر فيه عبارة "كل ليلة" وذِكر ألفاظ السؤال والعطاء والغفران بهذا الترتيب ثم الختم بذكر وقت الصبح إلا في الحديثين رقم ٨ و ١٠، أيْ في الذي روي عن نافع عن أبيه والذي روي عن نافع عن أبي هريرة، فهو اتفاق أكبر من ألا يؤدي بنا إلى معرفة أنه وقع خلط بين العبارتين المتشابهتين، أيْ بين عبارة "عن أبيه" وبين عبارة "عن أبي هريرة"، لاسيما وأن في السند حماد بن سلمة الذي وصفه الذهبي بأنه ثقة صدوق يغلط، ووصفه البيهقي بأنه "أحد أئمة المسلمين إلا أنه لما كبر ساء حفظه"، ووصفه الحافظ ابن حجر أنه "تغير حفظه بآخره"، وقد امتنع الإمام البخاري عن الاحتجاج به، ولم يحتج الإمام مسلم به إلا باحتياط شديد، كما ذكر البيهقي الذي انتهى إلى القول بأن "الاحتياط أن لا يُحتج به فيما يخالف الثقات". ونظرا إلى تواريخ مولد حماد ووفاته ومولد الذي روى عنه هذا

الحديث ووفاته، وهو الأسود بن عامر، فالأشبه أنه أخذ عنه هذا الحديث أيام اختلاطه، فالأسود بن عامر ولد في سنة بضع وعشرين ومائة وتوفي سنة ثمان ومائتين، وحماد بن سلمة مات قبل ذلك بأكثر من أربعين سنة، سنة سبع وستين ومائة، وقد روى الحديث عن حماد عدة رجال كلهم متأخرون ماتوا بعد المائتين، والله أعلم[٢]. زد إلى هذا أن حمادا يروي هذا الحديث عن عمرو بن دينار وقد قال الإمام مسلم في التمييز بأن حمادا عند كبار الحفاظ يخطئ كثيرا في حديث قوم من بينهم عمرو بن دينار. قال: إذا حدّث عن غير ثابت، كحديثه عن قتادة وأيوب ويونس وداود بن أبي هند والجريري ويحيى بن سعيد وعمرو بن دينار وأشباههم فإنه يخطئ في حديثهم كثيراً. ا.هـ. ثم إن الخطأ في تسمية الصحابي قد يقع للأئمة المتقنين الأثبات الذين لم يختلطوا بكبر السن كالإمام مالك الذي سمى معاوية بن الحكم في حديث الجارية عمر بن الحكم رغم قصر السند، وقد اتفق العلماء أن ذلك وهم منه، فما بالك بالراوي الذي فيه ضعف يروي بسند هو أطول؟

والصحابة الثلاثة الباقون الذين تنسب إليهم الأحاديث وكأنهم كلهم نطقوا بلفظ النزول، وهم أبو هريرة ورفاعة بن عرابة الجهني وعمرو بن عبسة

[٢] روى الحديث عنه هشام بن عبد الملك وإبراهيم بن الحجاج السامي وأسد بن موسى وحجاج بن منهال وبهز بن أسد وعفان بن مسلم الباهلي وهدبة بن خالد القيسي ويونس بن محمد المؤدب عن حماد بن سلمة، كلهم متأخرون، توفي الأول سنة سبع وعشرين ومائتين ابن أربع وتسعين وتوفي الثاني سنة ثلاث وثلاثين ومائتين ابن سبع وثمانين وتوفي الثالث سنة ثنتي عشرة ومائتين ابن ثمانين وتوفي الرابع سنة ست عشرة ومائتين وتوفي الخامس سنة سبع وتسعين ومائة في قول وبعد المائتين في قول آخر وتوفي السادس سنة مائتين وعشرين ابن خمس وثمانين سنة توفي السابع سنة سبع ومائتين وتوفي الثامن سنة خمس وثلاثين ومائتين أو بعدها والعاشر سنة سبع ومائتين، والله أعلم.

لا يبقى منهم بعد الغربلة الرابعة إلا اثنان. ذلك أن حديث رفاعة وإن كان صحيحا ونسبته إلى رفاعة رضي الله عنه لا اعتراض عليها لا يعتمد على لفظه، إذ أن أصل إسناده "هلال بن أبي ميمونة عن عطاء بن يسار"، وقد روي به حديث آخر مشهور يرى كثير من العلماء أن اللّفظ الّذي وصل إلينا عن هذا الطريق مخالف للفظ أصله، فهو اختصار يكاد يؤثر على المعنى، والحديث حديث الجارية. فالذي حدث هو أن رسول الله ﷺ سأل جارية أَعجمية أو خرساء "أين ربك؟" فأشارت إلى السماء بسبابتها، وسألها "من أنا" فأشارت بيدها إلى النبي وإلى السماء إشارة تدل على أنها تقر بأنه رسول الله، لكن ما يروى عن هلال بن أبي ميمونة عن عطاء بن يسار عن معاوية بن الحكم هو: "فقال لها أين الله؟ قالت في السماء، قال من أنا؟ قالت أنت رسول الله." وهذا يكبّر احتمال أن ذاك الإسناد إذا كان جزء إسناد آخر فأنه لا ينبغي الاعتماد على ألفاظه على وجه التفصيل. ثم إن لزم الأخذ بقاعدة أن الثقة المدلس لا يعتمد على دقائق ألفاظ حديثه وإن صرح بالتحديث فإن حديث رفاعة في إسناده يحيى بن أبي كثير وهو إمام فاضل إلا أنه من المدلسين، فيما استثبته ابن حبان وابن حجر العسقلاني وغيرهما. فالمدلس متساهل في الإسناد وبذلك مخاطرٌ بالمتن كله، ومن كان هذا من شأنه كان من شأنه التساهل في دقائق الألفاظ من باب أولى. ومن قارن كل الروايات الصحيحة الأسانيد مما جمعناه في هذه الصفحات بعضها إلى بعض وجد أن الصحابي الواحد يُروى عنه الحديث بصيغ كثيرة بينها تباين كبير رغم صحة الأسانيد، وعرف أن المفروض أن يكون بين صيغتين رويتا عن صحابيين اثنين أن يكون بينهما تباين أكبر. ثم نفاجَأ أيما مفاجأة

بعد مقارنة حديث يحيى بن أبي كثير الّذي رواه مسلم في رقم ٣ إلى الحديث الذي رواه يحيى عن رفاعة، لأن لفظهما – باستثناء زيادة "لا أسأل عن عبادي غيري" – يكاد يكون واحدا! وليس ذلك بعجب، فإنه من الصعب جدا حتى على كثير من الحذاق أن يميز المرء في آلاف أحاديثه بين ألفاظ حديثين موضوعهما واحد، إضافة إلى حفظ الأسانيد. فلا شك في أن يحيى يسّر الأمر بإسقاط إحدى الصيغتين معتقدا جواز الاستغناء عنها لتقارب المعنيين، فرجح صيغة أحفظ الصحابة، فوجب اعتبار صيغة رفاعة مفقودة.

والصحابيان الباقيان اللذان تنسب إليهما الأحاديث وكأنهما كليهما نطقا بلفظ النزول، وهما أبو هريرة وعمرو بن عبسة لا يبقى منهما بعد الغربلة الرابعة إلا واحد. فإنه لا يوجد إسناد متصل إلى عمرو بن عبسة فيه التصريح بلفظ النزول إلا ما رواه ابن عبد البر في رقم ٢٨. وإيراد ذلك اللفظ فيه لا يعتمد عليه لأمور أربعة: الأول طول المتن، فمن المعلوم لدى أهل الحديث أن ما طال من المتون فالعنصر التفصيلي منها إلى الضعف أقرب بقدر طولها إلا بشاهد من طريق آخر، ولا شاهد يشهد بمجيء لفظ النزول عن عمرو بن عبسة في هذا الموضوع من طريق آخر، والرواية رقم ٢٧ أصل طريقها هي أصل طريق الرواية رقم ٢٨. وحتى لو كانت الرواية رقم ٢٧ صالحة للاستشهاد بها فإن لفظها ليزيد بن هارون كما هو مصرح به في إسنادها، ويزيد بن هارون صح عنه أنه روى القصة بنفس الإسناد في رقم ٢٥ ويستعمل هناك لفظ "التدلي" بدلا من "النزول"، وهو عند أهل الحديث من أوثق الثقات والحفاظ المتقنين، فكان هذا دليلا أنه لا يؤمَن

أحد من الرواة قاطبة مهما بلغ توثيقه وإتقانه أن يبدل مكان لفظ لفظا غيره مقاربا، ولأمكن الختم ههنا لبلوغ هدف البحث. الثاني أن الروايات الأخرى عن عمرو بن عبسة تعارض لفظه بألفاظها فتستعمل لفظي "التدلي" و"القرب" أو تستغني عن استعمال كلمة في معناهما استغناء كاملا. الثالث طول السند، وهذا يؤدي أحيانا إلى تغير المعنى فضلا عن الألفاظ. والرابع أن سليم بن عامر لم يدرك عمرو بن عبسة فالإسناد منقطع. ولا عبرة باتصاله عند ابن عبد البر وعنده في رقم ٢٨ بين سليم وعمرو أبو أمامة الباهلي. فقد شهد شهود موثوق بهم كثيرون أن حريز بن عثمان روى الحديث عن سليم بن عامر عن عمرو بن عبسة ولم يذكر أبا أمامة، والشهود هم يحيى بن أبي بكير وعلي بن عياش وعبد الصمد بن النعمان البزاز ويزيد بن هارون، وكل واحد منهم سمعه من حريز بن عثمان يرويه عن سليم عن عمرو بن عبسة، فعُلم أن إدخال اسم أبي أمامة بين سليم وعمرو بن عبسة وهم، وهذا ما يتأكد بالنظر إلى من أخبر ابن عبد البر بهذا الحديث وإسناده، فإنه شيخه محمد عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن، ذكر الذهبي وغيره أن ضبطه لم يكن جيدا، لذا فالأشبه أنه هو منبع الخطإ في الإسناد، و قد امتنع ابن حجر عن إدراجه في درجة الثقات فاكتفى بوصفه صدوقا أي حديثه حسن لا تتوفر فيه جميع شروط الصحة، فحتى لو لم يقع الخطأ في الإسناد لوجب الإعراض عن ورود لفظ النزول فيه، لِضعف ثبوت صيغة ما لم يرتفع من الأحاديث عن درجة الحسن. ومن اللافت للنظر أن في الإسناد أبا داود صاحب السنن، ولم يورد أبو داود في سننه الحديث بهذا الإسناد فتأمل. وأصح ما روي من هذه القصة عن أبي

أمامة عن عمرو بن عبسة رواية الإمام مسلم في صحيحه مطولا ولم يذكر فيها النزول ولا بلفظة مقاربة المعنى (رقم ٣٦).

وبهذا فلا يثبت استعمال لفظ النزول في حديث دعاء آخر الليل إلا عن أبي هريرة رضي الله عنه، فيتبين أن عزو هذا اللفظ إلى النبي ﷺ بعيد عن التواتر الصحيح أيما بعد. ولا شك في استعمال أبي هريرة إياه نظرا إلى كثرة الطرق الصحيحة وتباعدها. وأبو هريرة صحابي جليل أقوى الصحابة حفظا، هو عند أهل الحق من فضلائهم المجاهدين العُبّاد العلماء الأذكياء، ولا التفات إلى من يتهمه بالكذب أو كثرة الخطإ من المبتدعة والزنادقة وسائر الخرافين.

غير أن ذلك ليس يعني عدم إمكان الحكم على لفظ النزول بالضعف. ذلك أنه مهما كانت رواية من الروايات صحيحة الإسناد فثبوت لفظها أضعف من ثبوت معناها، ولا يشك في ذلك عالم ولا عاقل، بخلاف شأن القرآن الكريم الذي ثبوت لفظه في منتهى القوة مثل ثبوت معناه أو أقوى منه في الآيات المتشابهات. أما في غير القرآن، فالرواية المتواترة لفظها المشترك صحيح، والصحيحة لفظها حسن، والحسنة لفظها ضعيف، والضعيفة لفظها أضعف.

ونحن في هذا الحال في قوله "ينزل" أمام رواية صحيحة الإسناد غير متواترة لا يسع أحدا القطع بأن الواقع لم يأت فيه "يهبط" أو "يتدلى" أو "يدنو"

بدلا من "ينزل". فقصارى ما يمكن من الحكم على هذه اللفظة أنها حسنة الثبوت. لكن مدقق النظر في أمرها يجدها ضعيفة. فإن أبا هريرة رضي الله عنه معروف عند علماء الحديث بما يسمى "مراسيل الصحابة". فكما في "سير أعلام النبلاء" للذهبي، عن يزيد بن هارون قال: سمعت شعبة يقول "كان أبو هريرة يدلس." ا.هـ. أيْ كانَ يدَعُ ذكر الشخص الذي بلّغه الحديث فيباشر بذكر الحديث. ولا يُعَد هذا من الكذب، إذ لم يدَّعِ أنه سمعه. غير أنه لا يخفى على ذي البصيرة أنه مظنة فساد اللفظ إذا روى حديثا قد تداول بين عدد من الأشخاص، وكل الصحابة أضعف حفظا من أبي هريرة إذ كان هو أحفظهم. وإن مال الذهبي وغيره إلى أن ذلك لا يؤثر أدنى تأثير لأن تدليسه عن صاحب أكبر منه فهذا رأي ضعيف جدا لأنه محض ظن ورجم بالغيب، فضلا عن إمكان اختلاف المعايير في كثير من الصحابة أيهم أكبر أو أصغر، وفضلا عن تفاوتهم في الحفظ والإتقان، ففيهما فكل الصحابة أصغر من أبي هريرة. بل قد ثبت أنه روى عن النبي ﷺ أن من أصبح بعد الفجر جنبا فقد أفطر، ولم يذكر في أول الأمر أنه لم يسمعه من النبي هو بل أخبره به مخبر، حتى تبين الخطأ، فهذا فيه برهان أن من أحاديث أبي هريرة رضي الله عنه ما وقع خطأ في معناه، فما بالك باللفظ؟

إن من الصحابة من لم يكن يحدث عن رسول الله ﷺ إلا بما سمع ويجتهد في هذا، كأبي سعيد الخدري وعمرو بن عبسة وغيرهما، فلا سبيل للتسوية بين رواياتهم وبين روايات من امتزج بحديثه ما لم يسمعه بأذنه، وإن كانت دقائق ألفاظ أولئك إذا تفردوا بها مجرد حسنة، فدقائق ألفاظ هؤلاء إذا

تفردوا بها ضعيفة، وإلا كنا ظالمين لأمثال أبي سعيد وعمرو بن عبسة وكثير من الصحابة رضوان الله عليهم.

وهكذا يتبين لك أن حديث أبي هريرة وجب قبوله والتصديق بمعناه، وهو أن الله تبارك وتعالى أقرب إلى عباده في آخر الليل منه في سائر اليوم وأكثر استجابة للدعاء والاستغفار في هذا الوقت، وأن لفظة النزول ضعيفة لا يمكن القطع بثبوتها عن النبي ﷺ في حديث دعاء آخر الليل، ولله الحمد.

أما عن السؤال أي لفظة هي التي استعملها النبي ﷺ في الواقع فهو موضوع وجب أن يفرد له بحث آخر ولا يمكن أن يكون هذا موضع بسطه، إلا أنه من غير البعيد ترجيح أن النبي ﷺ استعمل لفظ "الدنو" بدلا من النزول، وذلك لأمرين. أحدهما أن مدلول الدنو في اللغة وسط بين مدلولي القرب والنزول فيفهم ماذا أدى إلى تشعب الألفاظ حتى وقع في الحديث تارة القرب وتارة التدلي أو الهبوط أو النزول، أي أن الراوي تارة بالقرب فسر الدنو وتارة بالنزول فسره. والآخر أن هناك حديثا آخر شأنه مؤيد لهذا وتنوعت فيه البدائل عن لفظ النزول أيضا، وهو حديث المباهاة يوم عرفة، روي من عدة أوجه فيها ذكر "النزول" أو "الهبوط" ولا يخلو شيء من أسانيدها من علة ولا يتوفر ولا في واحد منها جميع شروط الصحة، بينما روي من وجه آخر صحيح الإسناد في صحيح مسلم وفيه لفظ "الدنو" بدلا من الألفاظ الأخرى. وهو قول النبي ﷺ من رواية عائشة رضي الله عنها: "ما من يوم

أكثر من أن يعتق الله فيه عبدا من النار من يوم عرفة. وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة. فيقول: ما أراد هؤلاء؟"

والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على النبي الأمين، وعلى آله الغر الميامين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.